اسم و لقب الأستاذ: وافيه حملاوي

المادة: مناهج دراسة الفلكلور

المستوى: أولى ماستر

التخصص: أدب حديث ومعاصر

المحاضرة الأولى: تعريف الفلكلور وأهمية تدريسه : (2+1)

- **مفهوم الفلكلور:**

وضع "وليام جون توماس" (W.J. Thomas) هذا المصطلح عام 1845 والمصطلح لغويا يتكوّن من لفظين folk بمعنى شعب، و lore بمعنى معرفة، أي إنّ كلمة "فولكلور" تعني " المعرفة الشعبية"، وقد عرّفه (توماس) بأنّه (المعتقدات والأساطير والعادات التقليدية الشائعة بين عامة الناس، وبأنّه آداب السّلوك والعادات وما يُراعيه النّاس، والخرافات والأغاني الروائية، والأمثال ... الخ ، التّي ترجع إلى العصور السالفة) .

غير أنّ هذا التعريف تناوله العلماء بزيادات وتعديلات كثيرة ، فمنهم من ركّز على الرواسب survivances في البيئة الحضرية الحديثة، أو ذلك الجزء من الماضي الذّي يحتوي عليه الحاضر.

لقد تعرض "تومسون" لقضية صعوبة الاتّفاق على تعريف يرضى به علماء الفلكلور جميعا، فعبّر عن ذلك يقوله : (على الرّغم من أن كلمة " فولكلور " قد مضى عليها أكثر من قرن، فليس هناك اتّفاق تام على ما تعنيه هذه الكلمة، ثم يقرر بأنّ الفكرة الشائعة في الوقت الحاضر هي أن الفلكلور: هو التّراث، إنّه شيء انتقل من شخص إلى آخر، وحُفظ إما: عن طريق الذاكرة، أو بالممارسة، أكثر مما حُفظ عن طريق السجل المدون. ويشمل: الرقص الشعبي، والأغاني الشعبية، والحكايات الشعبية، وقصص الخوارق، والمأثورات: العقائد والخزعبلات (المعتقدات الخرافية)، والأقوال السائرة للنّاس في كل مكان، الأدب الشعبي، الحرف اليدوية). أي إنّه مرادف لكل ما كان حيا جاريا في الاستعمال.

مثلما لاقى هذا المصطلح جدلا في الثقافة الغربية ، حدث الأمر نفسه في الثقافة العربية المعاصرة؛ حيث رأى بعض الباحثين العرب ترجمة المصطلح إلى "التراث الشعبي" أو " المأثور الشعبية" أو "الثقافة الشعبية " أو " الفنون الشعبية " ، ومنهم من فَضَّلَ تغريب المصطلح العالمي (فولكلور) .

أ/ العادات والتقاليد:

هي آليات تخلقها المجتمعات البشرية لتحقّق بواسطتها الرقابة على الفرد والمجتمع من أجل استقراره واستمراره، وتسمى عملية الضبط الاجتماعي، حيث تهدف إلى تنظيم العلاقات الاجتماعية وذلك بإشباع الحاجات الأساسية للفرد والمجتمع دون أن يعدو بعضهم على بعض.

وإذا كان الضبط الاجتماعي في الدولة العصرية مرتبطا بالقضاء والقانون وأجهزة الأمن، بالإضافة إلى بعض الجوانب كالوازع الديني والأخلاقي، فإنّه في المجتمعات التقليدية نجد وسائل أخرى منها: " العادات والتقاليد"، وهناك مصطلحات أخرى تستعمل كمرادفات للعادات والتقاليد، منها الأعراف، الآداب العامة ... وكلها من وسائل الضبط الاجتماعي.

السمات العامة للعادات والتقاليد:

1- الاستمداد من التراث : من أهم أسباب اعتبار سلوك ما صحيحًا هو مطابقته لما دأبت عليه الجماعة منذ الماضي البعيد، فالتراث الثقافي القائم يزكي هذا السلوك .

2- الاستمرارية

3- الجماعية: لابّد من موافقة الجماعة واستحسانها السلوك الذي يُعتبر عادة، وهي خارجة عن إرادة الفرد إذ لا يملك أن يُغَيّر فيها أو يجدّدها .

4- المعيارية: تكتسب العادة قوة الإلزام لجعل أفراد المجتمع يمتثلون لها، وهذه القوة تُستمدّ من مطابقتها للموروث الثقافي الذي يُميّزُ القيم المقبولة عن غيرها.

5- الاستعداد النفسي: يمكن للعادة أن تكون مرفقة بالاستعداد النفسي ، ذلك أننا نستطيع انطلاقاً من هذا الاستعداد أن نتنبأ بسلوك أفراد جماعة معينة في مناسبة معينة، مثل مناسبة الميلاد أو الوفاة.

ب/ الطقوس:

الطقوس مجموعة من السلوكات والأفعال والأقوال التي يقوم بها الإنسان بصفة مكررة، يتّفق عليها المجتمع، ذات علاقة بالدين والسحر والمعتقد الاجتماعي، يحدد العرف الاجتماعي دوافعها وأغراضها.

يعتقد البدائيون أن أداء الطقوس يرضي الآلهة والقوى فوق الطّبيعية، وعدمه يجلب غضبها ونقمتها، والطّقوس عبارة عن فعاليات متنوعة كالرقص ونحر الأضاحي وأداء الصلوات وترديد التّراتيل .... وترتبط الطقوس بفعاليات الإنسان الاقتصادية والاجتماعية: كطقوس الاستسقاء والميلاد والزواج والوفاة والسّحر وجني المحصول والعبور والزراعة.

ج/ المعتقدات الشعبية :

كثيرا ما تعود إلى جذور دينية، سواء أكان الدين رسميا كالإسلام، أم إلى ديانات قديمة انهارت وبقيت المعتقدات تمثل رواسب ثقافية، فالمعتقد الشّعبي كلّ ما يؤمن به المجتمع أو الفرد فيما يتعلق بالعالم الخارجي والفوق طبيعي، كما يعود إلى تصورات عن أسرار بعض الظواهر الطبيعية كتصورات الناس عن البرق والرعد والمطر والزلازل ..... أو النفسية كالأحلام والموت والنوم والميلاد ورؤية المستقبل.

إنّ أكثر العناصر الاعتقادية الشعبية انتشارا في الماضي أو الحاضر في العالم القديم والجديد، وعند الشعوب البدائية والمتقدمة على السواء، تلك المتعلقة بالغيب ومحاولات استطلاع المستقبل كالكهانة، التنبؤ، التشاؤم ، التفاؤل ... وهذه طبيعة إنسانية عامة).

د/ الاحتفال :

يُعرف الاحتفال بأنه تجمع عدد من أفراد المجتمع ، بهدف التعبير عن وجهات نظر مشتركة، بفعاليات منظمة، ذات طبيعة رمزية، تؤدى في مناسبات معلومة ذات طابع " ديني أو اجتماعي أو جمالي"

يقترن الاحتفال بالطقوس، ولذا يشترك معها في كثير من المظاهر منها أنها تعبر عن قيم مهمة في حياة الجماعة، ومنها أنها تتكرر على نحو يتفق عليه الجميع، ومنها أنّ العُرف هو الذي يحدد دوافعها وأغراضها.

أمثلة:

- الاحتفالات الاجتماعية: احتفالات العبور: مثل الزواج والختان.
- الاحتفالات الدينية: في المجتمعات البدائية والمتحضرة (مرتبطة بمعتقدات دينية).
- الاحتفالات الجمالية: استعراض مهارات فنية أو عضلية أو إمتاع الجمهور وتسليتهم (الرقص/ ركوب الخيل وإطلاق البارود/ الرقص لإرضاء الآلهة أو طرد الأرواح الشريرة.

ه/ السّحر:

يُعرّف (إيفانز بريتشارد) السّحر بأنه القدرة الكامنة على إيذاء الآخرين باستخدام وسائل غير طبيعية، وهو عبارة عن معتقدات وتطبيقات تستند إلى أنّ بعض الصيغ والطقوس تؤثر في قوى ما وراء الطبيعة ، فتسبب أحداثا مرغوب وقوعها ، أو تمنع وقوع أخرى يُخشى ضررها.

ودراسة السّحر ترتبط بدراسة الدين والشعائر عموما، فليس من السّهل التّمييز بين ميدان السّحر وما هو ديني طقوسي.

اختلف علماء الأنثروبولوجيا في تحديد العلاقة بين السّحر و العلم و بينه وبين الدين؛ فقد ذهب (تايلور) إلى أن السّحر كان شكلا من أشكال العلم البدائي، يقوم بوظيفة تفسير الطّبيعة والظواهر التي يلاحظها ويجربها البشر.

هناك من العلماء من يرى أسبقية السحر على الدين، وهناك من يرى أن السّحر في ذاته دين بدائي، وهناك رأي مخالف يرى بأنّ الدّين يشترط الاعتقاد في الكائنات الروحية أو الغيبية مثل الآلهة، بينما يتألّف السّحر من الأعمال والممارسات والشعائر المتصلة بالكائنات الأخرى.

- **الوظيفة الاجتماعية للسّحر:**

- تفسير الظواهر الغامضة (كالظواهر الكونية مثلا).
- تحقيق رغبات الإنسان.
- تجنب الضّرر ودفع الخطر: (الخوف مثلا من الأعاصير والسيول والصواعق).

- **بعض من أنواع السّحر:**

1- السّحر الأبيض (للنفع) والسحر الأسود (للضرر).
2- السحر الخاص (للفرد) والسحر العام (للجماعة).
3- السحر السلبي والسحر الإيجابي: السلبي: تجنيب شيء مرغوب عنه (مثلا، لا تتخطى أخاك وهو مضطجع/ لا تخط الثّوب وهو ملبوس) وهذا أصبح أحد القواعد الأخلاقية. أما الإيجابي: فيهدف إلى تحقيق شيئ مرغوب فيه (مثلا: سكب الماء خلف المسافر حتى يعود/ وضع علامة خمسة أو حدوة حصان أو إطار عجلة) دفعا للحسد.

-أهمية على الفلكلور :

1/ أهمية نظرية: (للدارسين والباحثين والمختصين)

- إسهام علم الفلكلور في معرفة تاريخ الثقافات الإنسانية.
- إسهام علم الفلكور في معرفة عملية التّغير والتّغيير الاجتماعي التّي تحصل في المجتمعات؛ وذلك من خلال إجراء دراسات في فترة زمنية معينة، ثمّ إعادة نفس الدّراسة في فترة زمنية لاحقة، وهذا ما يساعد في الكشف على مقدار وسرعة التغير الاجتماعي والثقافي.
- إسهام على الفلكلور في معرفة الشخصية القومية للشعوب والبلدان.
- إسهام علم الفلكلور في الكشف عن عملية التفاعل والتأثير المتبادل بين الثقافات الإنسانية.
- فهم السلوك الإنساني وتطوره

2/ **أهمية تطبيقية**: من خلال الدراسات الميدانية للمجتمعات:

- إسهام علم الفلكلور في الحفاظ على الهوية الثقافية.
- التواصل عبر الأجيال وتعزيز الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد.

د. وافية حملاوي